

# إذا لم يهتم العرب بالثقافة ستتحقق فيهم نبوءة جورج أوروبيل

## مثقّفون عرب: الثقافة ضحية فيروس كورونا تحتاج إلى رؤية إستراتيجية جديدة



### الثقافة أبدية كل الأبديات

وفي تحليلها تلفت الباحثة ناهد راجيل إلى ضرورة الاعتراف بأن المخاطر الاقتصادية للأوبئة ليست بسيطة، خاصة في المجتمعات التي لا تمتلك من السياسات ما يؤهلها لإدارة المخاطر أو تقليص احتمالات وقوعها، أو على الأقل تمهيد طرق التعامل معها حال وقوعها، ولكون تلك التداعيات غير موزعة بشكل متكافئ على جميع القطاعات؛ فهناك قطاعات قد تستفيد من الأزمة كشركات الأدوية والمستلزمات الطبية، وقطاعات أخرى كدور النشر والمؤسسات الثقافية، تعاني منها بسبب الإجراءات الاحترازية التي فرضت سياسات التباعد المكاني والاجتماعي مما عطل المسيرة الإنتاجية وأوقف الأنشطة الاقتصادية بالتبعية؛ ومن هنا يكون الاهتمام بهذا الجانب على حساب جوانب أخرى هو الشرط الحاكم للمرحلة الحالية.



ويتحرق الروائي شريف صالح رؤية مغايرة حيث يقول إنه في الدول الكبرى يكون التقدم التكنولوجي تعبيراً عن ازدهار الوعي، فالقطار أو ألعاب الفيديو جيم أو الهاتف المحمول، كلها ثمرات فكرة مبتكرة لعقل لامع، وإنشاء المتاحف والجسور والمدن والمستشفيات، يكون لخدمة الإنسان. وفي الحالتين، فإن الصلة بين الإنسان والآلة، وبين الإنسان والمستشفى، وتقييمها الثقافة. فالثقافة هي أجدية كل الأبديات، وبالتالي لا يمكن إخراجها حين نتحدث عن الاقتصاد أو السياسة أو الدين وليس فقط عند الكلام في الآداب والفنون. من ثم يعي ساسة الدول المتقدمة أن أهمية دعم السينما والمسارح والمكتبات والمتاحف، لا تقل عن أهمية شراء سلاح أو بناء جسر. لكن في العالم العربي -ويعض النظر عن مأساة وتداعيات كورونا- يُنظر إلى الثقافة نظرة ارتياب.

ويضيف صالح "على الأرجح تتأسس تلك النظرة المهملشة (بكسر الميم) من النظرة الدونية للإنسان. وكأنه مجرد كائن بيولوجي مطلوب فقط توفير الأكل والمأوى له. وتجهد الحكومات العربية نفسها في بناء الطرق، وضبط أسعار المطاعم. لكنها عندما تشيد مكتبة لا تقوم بذلك لتصنع منها بؤرة إشعاع معرفي -لا تسمح الله- بل فقط للتباهي بها في سجل المنجزات، ولكنها تفضل أن تبقى المكتبة مغلقة، ولا يُفتح غلاف كتاب فيها".

ويخلص صالح للقول إن "من أي زاوية نظرنا فيها إلى أحوال الثقافة العربية، سنجد الإحصاءات مؤلمة. ربما لأن السلطات نفسها، تخشى من أي وعي محتمل إذا باتت الثقافة في الصدارة، وعلى سلم الأولويات، فنحن شعوب تكبر وتحارب الإبداع، والأفكار، بينما أوروبا تقدمت نتيجة لهذه الأفكار، وإبداعات الإنسان الذي توفرت له أفضل البيئات الثقافية".

ليس وحدة متجانسة. فهو متعدد بخصوصياته وبالظروف التي تعيشها كل دولة. ويضيف أن "جائحة كورونا لا تزال حدثاً مستمراً في الحاضر، وأي تقييم يرتبط بها وبالتعامل معها سيكون متسرعاً وقابلاً بنسبة كبيرة للخطأ وسوء التقدير. صحيح أن أغلبية الدول تضررت اقتصادياً من الجائحة بسبب سياسة العزل والحجر، فقلصت التجارة العالمية إلى أدنى مستوى لها في تاريخها المعاصر، وأفلست الشركات العالمية إحدى أعمدة الاقتصاد. كما تضررت على الصعيد الداخلي أنشطة السكان المعيشية، سواء منها المهيكلة أو غير المهيكلة، فكان من الطبيعي أن تسعى الدول إلى البحث عن حلول اقتصادية لإعادة العجلة الاقتصادية إلى الدوران، لأن توقف هذه العجلة كان له انعكاس خطير على المجالات الأخرى بما فيها الثقافة".

ويتابع فردوس "أما في ما يتعلق بالثقافة فلا أرى أن الدول العربية فقدت الثقة في الثقافة وسحبت الدعم عنها بسبب الجائحة، لأنني أميل إلى التحليل الذي يرى أن الثقافة أصل، تحل عند مجموعة من الدول العربية أهمية ثانوية، ولا تخصص لها إلا نسبة قليلة في ميزانياتها، فجاءت الجائحة ومرت الوضعية الهشة للمشتغلين بالثقافة وللمنتجين الثقافيين، ولا أقول المثقف لأن هذا التوصيف يحتاج إلى نقاش. وللتذكير، فإن أغلبية الدول الكبرى أصبحت الثقافة فيها تحت سيطرة المصالح التجارية، وتحولت إلى سلعة تقاس قيمتها وأهميتها بقانون السوق. وصار الاستثمار في الثقافة مرتبطاً بهاجس الربح المادي".

ويتابع فردوس "أما في ما يتعلق بالثقافة فلا أرى أن الدول العربية فقدت الثقة في الثقافة وسحبت الدعم عنها بسبب الجائحة، لأنني أميل إلى التحليل الذي يرى أن الثقافة أصل، تحل عند مجموعة من الدول العربية أهمية ثانوية، ولا تخصص لها إلا نسبة قليلة في ميزانياتها، فجاءت الجائحة ومرت الوضعية الهشة للمشتغلين بالثقافة وللمنتجين الثقافيين، ولا أقول المثقف لأن هذا التوصيف يحتاج إلى نقاش. وللتذكير، فإن أغلبية الدول الكبرى أصبحت الثقافة فيها تحت سيطرة المصالح التجارية، وتحولت إلى سلعة تقاس قيمتها وأهميتها بقانون السوق. وصار الاستثمار في الثقافة مرتبطاً بهاجس الربح المادي".

ويشير الشاعر والمترجم عبد الوهاب الشيخ إلى أن بعض الدول الصغيرة في ستينات القرن الماضي وسبعيناته وما تلاهما تضاعف حضورها من خلال أنشطة بسيطة كمجلة ثقافية جيدة المواد والطباعة زهيدة السعر. فرنسا نفسها قاومت بعد سقوط باريس تحت الاحتلال النازي بفضل العمق الثقافي والحضاري والذي تمثل في أشعار إيلوار وأراغون ولوحات ماتيس.

ويقول "إن الاقتصاد دون بعد ثقافي سيحول البشر إلى آلات وتروس تعمل في ماكينته وسيعدنا إلى ديستوبيا جورج أوروبيل في روايته '1984'. لذا نجد حرص الدول الأكثر تقدماً على رصد ميزانيات كبيرة للثقافة الثقافية مقارنة بما توفره الدول الأقل تقدماً للنشاط الثقافي. إن وجود المثقف المستقل في المجتمعات الغربية تنوع ثمومسكي -مثلاً- هو ما يمنح نقلاً لدور المثقف. إن تبعية المثقف عموماً، سواء لنظام حاكم أو لجهات الدعم والمنح

أخرى أكثر رفعة وجمالا. ومن الأسف أن نخيل الكثير من الدول العربية أن الثقافة نشاط ترفيهي يجوز الاستغناء عنه، إذا لزم الأمر، وهو تخيل مخلوط وبائس، فالأمم التي لا تنفق بسخاء على الثقافة بمعناها الشامل ستنتج أجيالاً محرومة من نعمة الوعي، غليظة المشاعر، ضيقة التفكير، الأمر الذي سيؤدي إلى ظهور الأفكار المتطرفة التي لا تتورع عن قتل الآخرين إذا اختلفوا معها".

ويشير الشاعر والمترجم عبد الوهاب الشيخ إلى أن بعض الدول الصغيرة في ستينات القرن الماضي وسبعيناته وما تلاهما تضاعف حضورها من خلال أنشطة بسيطة كمجلة ثقافية جيدة المواد والطباعة زهيدة السعر. فرنسا نفسها قاومت بعد سقوط باريس تحت الاحتلال النازي بفضل العمق الثقافي والحضاري والذي تمثل في أشعار إيلوار وأراغون ولوحات ماتيس.

ويشدد عفيفي على ضرورة دعم الثقافة ومساندتها مادياً وتخصيص ميزانيات لتخفيف خسائرها، ووضع إستراتيجيات جديدة لتلائم الوضع المستجد في العالم من حولنا، الذي أجبر الجميع على التعايش عن بعد، وأصبح الاعتماد على الحياة الإلكترونية أمراً واقعاً، حيث صار من الضروري البحث عن البدائل التقنية المناسبة لتتيح للمجتمعات متابعة الحراك الثقافي، وتفعيل استخدام الفضاء الإلكتروني لتعزيز التبادل الثقافي، لكن للأسف الحياة الثقافية ما زالت يُنظر إليها بمنظور الترفيه والمهرجانات دون النظر إلى جوهرها في تغيير السلوكيات بما يتلاءم مع الأوضاع المستجد في العالم والتي حتما سوف يشملها التغيير، ويلفت الكاتب المسرحي المغربي عبد اللطيف فردوس إلى أن العالم العربي

يطلق الشاعرة والأكاديمي اللبناني كامل فرحان صالح من الإشارة إلى أن الحراك الثقافي العربي، لم يكن على انسجام وتوافق مع السلطة العربية، وإن بدا وجود تقاطع في محطات ما، لكن هذا التقاطع لا يصح أن يبني عليه، وأن يعد قاعدة ثابتة.

ويتابع "لا أجد تأثيراً عميقاً لسحب السلطة العربية دعمها للثقافة ورهانها على الاقتصاد في زمن كورونا، لأن مكونات هذه الثقافة العربية هي في جزء أساسي منها، جاءت نتيجة ردود أفعال رافضة للسلطة في وجهها كافة. إن المعيار في ذلك، ينطلق من قاعدة سلطة الثقافة التي تسعى باستمرار إلى بلورة صورتها وتنقيتها وتطوير نفسها بنفسها، مقابل السلطة السياسية والعسكرية والمخابراتية والقمعية التي تظهر في أشكال مختلفة على مساحة عالمنا العربي منذ عشرات السنوات".

ويتابع "بالنظر إلى أحد مبررات اللقلق من مواقف السلطة العربية في دعم المسار الثقافي، بل على العكس، أبدو قلقاً إذا حدث العكس، لأن هذه السلطة إن دعمت الثقافة فهي تدعمها بهدف تجميل صورتها وقمعها وتسلطها. إن الثقافة مكون متمرده، والسياسة مكون لرج، منحور، مهادن. فلا نلحق، لأن التاريخ الإنساني يثبت لنا باستمرار أن السياق الثقافي يجد في الحكومات الحرجة جداً، خلاصاً ما يستمر ويكمل الطريق، أما السياق السلطوي فسيفاه معروف: إما الإنقلاب، أو الإعدام، أو دس السم، أو الأخ يقتل أخاه.. لينتهي دائماً، نهاية مفجعة وسوداوية وديموية".

ويشدد الضيغ على أن مواجهة القضايا الكبرى الراهنة التي تواجهها الأمة العربية لن يمكن حلها إلا من خلال الثقافة، وبخاصة التطرف والإرهاب والتفكك الأسري وانحيار منظومات القيم والأخلاق، وسيادة الردي على حساب الجيد والأجود. أما عن كيف يتم ذلك؛ فهو من خلال العودة إلى المنهجية العلمية السليمة التي تتبنى سياسات ثقافية وليس مجرد مجموعة من الأنشطة العشوائية.

ويشدد الضيغ على أن مواجهة القضايا الكبرى الراهنة التي تواجهها الأمة العربية لن يمكن حلها إلا من خلال الثقافة، وبخاصة التطرف والإرهاب والتفكك الأسري وانحيار منظومات القيم والأخلاق، وسيادة الردي على حساب الجيد والأجود. أما عن كيف يتم ذلك؛ فهو من خلال العودة إلى المنهجية العلمية السليمة التي تتبنى سياسات ثقافية وليس مجرد مجموعة من الأنشطة العشوائية.

ويشدد الضيغ على أن مواجهة القضايا الكبرى الراهنة التي تواجهها الأمة العربية لن يمكن حلها إلا من خلال الثقافة، وبخاصة التطرف والإرهاب والتفكك الأسري وانحيار منظومات القيم والأخلاق، وسيادة الردي على حساب الجيد والأجود. أما عن كيف يتم ذلك؛ فهو من خلال العودة إلى المنهجية العلمية السليمة التي تتبنى سياسات ثقافية وليس مجرد مجموعة من الأنشطة العشوائية.

ويشدد الضيغ على أن مواجهة القضايا الكبرى الراهنة التي تواجهها الأمة العربية لن يمكن حلها إلا من خلال الثقافة، وبخاصة التطرف والإرهاب والتفكك الأسري وانحيار منظومات القيم والأخلاق، وسيادة الردي على حساب الجيد والأجود. أما عن كيف يتم ذلك؛ فهو من خلال العودة إلى المنهجية العلمية السليمة التي تتبنى سياسات ثقافية وليس مجرد مجموعة من الأنشطة العشوائية.



محمد الحماصي  
كاتب مصري

في خضم الصراع في مواجهة جائحة كورونا ذهب كافة الرؤى والأفكار والدراسات إلى الاقتصاد والسياسة وأبعاد وملامح التأثير الذي ستخلفه الجائحة عليهما، وذلك باعتبارهما القوتين المحركتين للعالم في الوقت الراهن، فيما تم إسقاط أي دور للثقافة ف"سحبت الدول والمؤسسات، وخصوصاً في عالمنا العربي، أيديها من دعم المشاريع الثقافية" وفقاً للدكتور هيثم الزبيدي في مقال له نشر بجريدة "العرب" أخيراً، وهو الأمر الذي يعني الكثير.

الثقافة على اختلاف مفاهيمها ومنتجاتها بنى تتشكل مرتكزات حماية المجتمعات ليس من مجرد جائحة ولكن مما هو أخطر كالأفكار الضالمة الهدامة. من هنا كان لا بد من التوجه إلى المثقفين للتعرف على آرائهم وأفكار حول تساؤلات مثل: كيف يمكن أن نقيم أولاً نتائج سحب الدعم عن الثقافة وما يترتب على ذلك؛ وثانياً هل فقدت الدول في عالمنا العربي الثقة في دور الثقافة والمثقفين أم أن مردودات الاقتصاد أهم من الثقافة ودورها؟

### رؤية إستراتيجية

بداية يؤكد الأكاديمي نبيل بهجت، أستاذ علوم المسرح، أن الوطن العربي يعاني أزمة في مفاهيم الإدارة الثقافية، ويقول "هناك قصور تام في إدارة المؤسسات الثقافية وتدريب علوم الإدارة وكيفية تقديم الدعم، فغالباً ما يذهب الدعم إلى غير مستحقيه بأشكال مختلفة، ويرايي الأهم من مسألة الدعم هو السياق والمناخ، فهل تم إعفاء المنتج الثقافي من الضرائب مثلاً أو الاستقطاعات أو الرسوم؛ وهل هناك مناخ يحتمل منتجاً ثقافياً حراً ومستقلاً؛ وهل لدينا سوق ثقافية؛ فالثقافة منتج اقتصادي وإذا لم نتعامل معها بهذا المفهوم سنخسر المنتج والسوق، وستسيطر على أسواقنا نماذج وأفكار مستوردة تسيطر بالفعل".

ويضيف "أما عن ثقة الدولة فإنا دائماً أفرق بين مفهوم الدولة والحكومة، الدول باقية والحكومات متغيرة، الدول تعاني من سوء إدارة الحكومات أو يرتفع شأنها بها، ومعظم الحكومات لها أصواتها وكتابتها وفناتها منذ ثورة 1919، لكن الذين يقوّمون هم فنانون الدول، من أجل هذا نقول سيد درويش فنان الشعب، بيرم التونسي شاعر الشعب، لأن أنه لو انتهت الحكومات لمفهوم الكفاءة وليس الولاء في المنتج الفني ودعمت السوق ورفعت الضرائب والاستقطاعات لكانت هناك مردودات فنية كبيرة".

ويرى الناقد محمود الضيع أنه عبر التاريخ كانت نهضة الأمم تنطلق من رؤية إستراتيجية واضحة ومحددة المعالم، تدعمها ثلاث ركائز أساسية هي "قوة اقتصادية وعسكرية، وسياسة داخلية وخارجية، وتنمية قوامها التعليم والثقافة والوعي. ولم يشهد التاريخ على نهضة أي



محمود الضيع  
فقدان الثقة في المثقف من الملامح السلبية في الوعي العربي  
ناصر عراق  
رفع الدعم عن الثقافة في معظم الدول العربية سيكون له أثر سلبي  
ناهد راجيل  
العلاقة بين الأبنية الاقتصادية والثقافية يتحكم بها البطء